مجلة دراسات إنسانية واجتماعية / جامعة وهران02/ المجلد 14 ع 01.
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

الحركة الإصلاحية الوطنية إبان الاستعمار الفرنسي (1913م-1931م)

The national reform movement during French colonialism (1913-1931)

داودي مغنية Daoudi Mghnia* daoudimagg@gmail.com	قانون عام	كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة جيلالي ليابس مخبر المرافق العمومية والتنمية/ سيدي بلعباس الجزائر
DOI : 10.46315/1714-014-001-027		ORCID:

الإرسال: 2024/02/05 القبول: 2024/11/03 النشر: 2025/01/16

**

ملخص: لقد كان للحركة الإصلاحية الجزائرية دور فعال في النهضة الوطنية من سباتها الذي تسبب فيه المحتل بجميع طرقه، سواء ما تعلق بمحاولة القضاء على الشخصية الوطنية، باستعماله أساليب الدمج والتنصير مستغلا للأوضاع التي أوجدها، مخالفا لبنود اتفاقياته الاستبدادية التي أظهر من خلالها رغبته التنموية للوطن دون المساس بحريات أفراده ومكونات شخصيتهم وممتلكاتهم التي استفاد منها المعمر الأوربي أثناء الاحتلال، إلا أنه فشل في ذلك بدليل بروز الحركة الوطنية الإصلاحية بعناية رواد الإصلاح أمثال: العلامتان عبدالحميد ابن باديس والبشير الإبراهيمي، هذه الشخصيات لما تتمتع به من مقومات تثقيفية ودينية إسلامية، شغوفة لطلب العلم مثل انتقال ابن باديس إلى جامع زيتون عام 1913غيرمكترث لبعد المسافات، ثم ما لبثوا أن أسسوا جمعية علماء المسلمين عام 1931، جعلتها تتنوع في مهامها بين نشر التعاليم الدينية وصولا إلى بعث الوعي بالواقع السياسي المعاش أنذاك إبان الإستعمار، مستعملة كل السبل في سبيل مهامها النبيلة من: التعليم في المساجد والمدارس إلى الصحف التي كان لها وقع كبير على الصعيدين الوطني والعالمي، يظهر ذلك من خلال ثورات التحريرية الضروس المتتالية التي عانى منها المستعمر طوال فترة احتلاله وفضلا على المساندات الدولية للقضية الوطنية

كلمات مفتاحية : الحركة الإصلاحية الوطنية ؛ أوضاع السياسية الاستعمارية؛ أساليب الدينية الاستعمارية؛ رواد الإصلاح؛ سبل الإصلاح.

Abstract:

The Algerian reform movement had an effective role in the national renaissance from its slumber caused by the occupier in all its ways, whether it was related to trying to eliminate the national character, using methods of integration and Christianization, taking advantage of the conditions he created, in violation of the terms of his tyrannical agreements through which he demonstrated his desire for development for the homeland without... Violating the freedoms of its members, the components of their personality, and their property, which the European colonizer benefited from during the occupation, but he failed to do so, as evidenced by the emergence of the national reform movement, with the care of reform pioneers such as: the two scholars, Abdel Hamid Ibn Badis and Al-Bashir Al-Ibrahimi. These figures, due to their Islamic cultural and religious components, are passionate about seeking knowledge. Such as Ibn Badis moving to the Olive Mosque in 1913, not caring about the distance. Then, they soon founded the Association of Muslim Scholars in 1931, making it diversify its tasks from spreading religious teachings to raising awareness of the political reality that existed at that time during colonialism, using all means for the sake of its noble tasks, including: Education in mosques and schools to newspapers that had a major impact on the national and international levels. This is evident through the successive fierce editorial revolutions that the colonizer suffered throughout the period of his occupation and in addition to international support for the national cause.

Keywords : The national reform movement; colonial political conditions; colonial religious methods; pioneers of reform; means of reform.

* - الباحث المُرسل: daoudimagg@gmail.com

1- مقدمة

لقد لعبت الحركة الإصلاحية دور مهم في المحافظة على الهوية الوطنية أثناء حقبة الإستعمار الفرنسي التي كانت تهدف سياسته في طمس معالم وأسس الهوية الوطنية، بحيث تجسدت جهود الحركة الإصلاحية في صون المقومات الشخصية الوطنية والتصدي لأساليب :الدمج، التجهيل، التنصير والدفاع عن الهوية الوطنية المتمثلة في :القومية، اللغة والدين الإسلامي بكل الوسائل المتاحة، سواء بممارسة التعليم بداية من المساجد والمدارس وصولا إلى الصحافة كوسيلة تتعدى الجدران وتصل إلى العالم الخارجي، بسبب الوعي الذي أصبح يستحوذ على النخبة المثقفة بسبب الدراسات المتعددة واللقاءات المثمرة مع ذوي الخبرة العلمية، لتتجاوز الحركة الإصلاحية بذلك دورها الثقافي الديني وتجد نفسها بحكم القضية الوطنية تدخل إلى عالم السياسة، من أجل إعلام العالم بنوايا المحتل الذي أبدى بداية نيته التنموية للوطن حتى يواكب عجلة التطور، في حين حقيقة الأمر كانت مساعيه في سلب الهوية الوطنية وإعدام الدولة الجزائرية وإفنائها من الوجود، محاولا بذلك طمس مكونات الهوية الوطنية، بحيث أن المحتل لم يلتزم بمواثيقه التي أكدت عدم المساس بحريات وحقوق المواطن وأملاكه، ثم ما فتأ أن صودرت ممتلكات المواطن ليستفيد بها المعمرين، فضلا على ممارسات الدمج والتنصير التي مورست على الفئة الاجتماعية الضعيفة من أطفال ويتامى بهدف غرسها فيهم لاستعمالهم مستقبلا في أغراضهم الاستبدادية، لكن دوام الحال من المحال بسبب التاريخ العريق الذي تتمتع به الجزائر ودليل ذلك بروز الحركة الإصلاحية لما كان لها من صدى على الصعيدين الداخلي والدولي من أجل معالجة القضية الوطنية وما كان لروادها المصلحين من دور في ذلك، أمثال العلامتان عبد الحميد ابن باديس والبشير الإبراهيمي ودورهما البارز في المحافظة على معالم الهوية الوطنية . . لذا فإنه تبعا لما سبق ذكره تتبلور إشكالية المقال المتمثلة في : ما مدى مساهمة الحركة الإصلاحية بزعامة ابن باديس والابراهيمي في المحافظة على الهوية الوطنية أثناء حقبة الإستعمار؟ . للإجابة على هذه الإشكالية اتبعت المنهجين التاريخي نظرا لطبيعة الموضوع التاريخية والمنهج الاستدلالي التحليلي لما تقتضيه الدراسة من تحليل، مقسمة خطة الدراسة إلى عنوانين رئيسيين هما على التوالي: أساليب الإستعمار لطمس القيم الوطنية ودور الحركة الإصلاحية في الحماية.

2- أساليب الإستعمار لطمس القيم الوطنية :

إن الإستعمار حاول جاهدا لطمس القيم الجزائرية متبعا أساليبه المتمثلة في : التجهيل والتنصير والدفاع، مخلا بذلك باتفاقية الجزائر **(خطيب، 1985، صفحة 16)** الموقعة بتاريخ 5جويلية1830، التي اعتبرها المؤرخون على أنها هدنة رغم أنه لا علاقة لذلك بالسلم وإنما تعبير عن تسليم عسكري دون المساس بالسيادة الوطنية كوعد رسمي فرنسي بذلك، إذ جاء في البند

الخامس منها على أن : "الشعائر الدينية المحمدية تكون حرة ولا يقع أي مساس بحرية السكان من مختلف الطبقات ولا بدينهم ولا بأملاكهم ولا بتجارتهم ولا ببضاعتهم وتحترم نساؤهم والقائد العام يتعهد بذلك عهد شرفه" (أبوالقاسم، الحركة الوطنية الجزائرية1900-1930، 1992، صفحة 14)، إلا أنه سرعان ما توضحت نية المستعمر وفقا لما سيتم توضيحه من خلال أساليبه الاستيطانية التالي بيانها :

2-1- الأساليب السياسية (روبيرأجيرون، 2007، صفحة 104)

تعامل المستعمر مع الشعب الجزائري بعنصرية تعسفية، متبعا سلسلة من الأساليب كـ: قانون الأهالي، دمج وفرنسة الشعب، التجنيد الإجباري وحالة الاستيطاني، في ما يلي التعرض إليها في النقطتين المواليتين:

2-1-1: الماسة بالمواطن الجزائري :

كما سبقت الإشارة إليه، أن المستعمر انتهج عدة سبل للقضاء على الهوية الوطنية، إذ أن قانون الأهالي الذي صدر سنة1874 وطبق سنة1881 الذي يعبر عن التبعية الأهلية يحتوي على سلسلة من العقوبات غير المألوفة في القانون العام، كان عددها واحد وأربعون مخالفة إلى واحد وعشرين عقوبة سنة 1890 مشتملا على أربع محاور تتمثل في : الاعتقال الإداري ومصادرة المكاسب، المسؤولية المشتركة وقانون الغاب المرهق، الغاية منه فرض السيطرة الاستعمارية على القبائل المقاومة التي لم تستسلم بأكملها (عبدالرحمان بن ابراهيم، 1984، صفحة 31) إلى جانب محاولته في دمج الجزائريين، هذه الفكرة قائمة على أنه يتعين خلق تماثل بين الدولة الأصل والمستعمر في نظام الحكم، بحيث ينصرف هذا التماثل إلى ما وراء البحار للدولة الأصل (حسنين، 1986، صفحة 35)، لذا قام المحتل مثلا بإلغاء جهاز العدالة الإسلامية وتقليص سلطاته، مخترقا بذلك بنود معاهدة الاستسلام للداي حسين في5 جويلية 1830 (Bontems, s.d, p. 369) الموضحة أعلاه، كونها لا تخدم مصالحه وتؤثر على بقائه في الأراضي الجزائرية (أبوالقاسم، أبحاث وراء تاريخ الجزائر، 1998، صفحة 89)، تحول دون إذابة كيان الشعب الجزائري في فرنسا (بوحوش، 1997، صفحة 198)، فأوجد فكرة التجنيد الإجباري التي تعود للكونت دي بورمون قائد الحملة العسكرية لاحتلال الجزائر عام 1830، رغم لعلمه المسبق على أن البقاء في الجزائر ليس بالأمر الهين، فهو يحتاج لأن يُدعم بعناصر جزائرية في جيش المحتل (بجاوي، 2009، صفحة 33)، ليصل الأمر به إلى الاعتماد على المجندين الجزائريين في الجيش، بدلا من الفرنسيين الذين تم إعادتهم إلى أوروبا، ظاهريا تعزيزا للظروف الطارئة بهدف أكيد لهم في القضاء على الطاقة الشبابية الجزائرية داخل البلاد والقضاء على الانتفاضات الشعبية، كما تم الضغط على الكهول

الجزائريين العمل في مجال الاقتصاد الفرنسي عنوة مستعملا قوة سلاحه أمام ضعفهم مقابل ثمن بخص (فرحات، 2009، صفحة 26) .

2-1- 2: الاستيطان :

إن الإستعمار لضمان تحقق احتلاله الكامل عن طريق الاستيطان الجزئي (دوطوكفيل، 2008، صفحة 38)، قام بجلب أكبر عدد ممكن من الأوروبيين فرنسيين وغير فرنسيين بسنه لقوانين تشجع على الاستيطان(Géron, 1996, p. 51) ، مثلا بموجب مرسوم 15جويلية 1874 محفزا لهم بالهجرة نحو للجزائر، فضلا على الإغراءات في الاستفادة من الملكية النهائية خلال مدة خمس سنوات بدلا من تسع سنوات، مع ضمان النوعية بطبيعة الحال من خلال استيلائهم لأحسن الأراضي الزراعية الجزائرية بغرض السلب والنهب لها، مستمرا في مسلسله الاستحواذي ليصل إلى المجال التجاري على الصعيدين داخليا وخارجيا، مستعينا على البنوك وبمساعدة الشركات الاحتكارية الفرنسية الكبرى، الوضع الذي أدى إلى التحكم الكلي بوسائل الإنتاج ورأس المال، هذه السيطرة الإستدمارية الشاملة للمجتمع الجزائري دفعت بالجزائريين إلى مطالبة بالاستقلال عن المستعمر (تركي، 1981، صفحة 88)، كونها لم تعرف حدودا فقد شملت كل الجوانب بما في ذلك التجاوزات الدينية التي سيتم توضيحها أدناه،

2-2- الطرق الدينية

يعتبر الدين الدعامة الأساسية للمجتمع الجزائري، لذا فإنه من البديهي أن يحاول المستعمر القضاء عليه بمحاربته له ولشعائره، إذ قام المحتل الفرنسي ب: تحطيم الأماكن الدينية مثل: "المساجد"، الاستلاء على الأراضي الوقفية، بالمقابل قام بنشر الديانة الكاثوليكية في ما يلي التطرق إلى ذلك:

2-2- 1: محاربة الدين:

منذ بداية الاحتلال حاول المستعمر الفرنسي تنصير الجزائر التي بقيت متمسكة بدينها الإسلامي (الكحلوت، 1992، صفحة 35)، رغم تلقيها لأقوى الضربات من الدول المسيحية الأوروبية (عبدالرحمان م.، 1983، صفحة 351)، إذ جاء في تقرير الحكومة الفرنسية يوم 14 أكتوبر1827عن رغبتهم الجامحة في تنصير الوطن بقولهم :" يمكننا في المستقبل أن نكون سعداء ونحن نمدن الجزائريين أن نجعلهم مسيحيين لنحقق بذلك نصرا، يبدوا أن العناية الإلاهية تُعده لنا" (لونيسي، بلاح، ووأخرون، د، س، صفحة 60)، مستعملة بذلك طريقتي التعليم والطب، إذ في مجال التعليم تم التركيز على الابتدائي لسببين : أولاهما يرجع إلى طبيعة هذا الطور أما الثاني يعود إلى تنشئة الأطفال البريئة، بتعبير أصح صفحة بيضاء يمكن تشكيلها كما يستطيع، تمهيدا لهم ليساعدوا في المستقبل القريب في التنصير وذلك لسهولة التأثير عليهم وترهيبهم بعد تنصيرهم (علي محمد، د، س، الصفحات 81-90)، إنه الفكر الاستعماري فلا غرابة في ذلك، أما في الطب من

خلال استعمال الخدمات الطبية، في رأيهم وحسب نظرهم أن الناس دائما بحاجة إلى الطبيب، متناسين للقيم الإنسانية التي أعدموها ولم يبق لها وجود في سبيل تحقيق غاياتهم (خالدي وفروخ، 1986، صفحة 59) . وللإلمام به سيتم التطرق إلى النقطة الموالية:

2-2-1: القضاء على شعائره:

لقد حاولت الإدارة الاستعمارية القضاء على العبادات مثل : الصوم، الحج من خلال عبثها بهم، ففي عبادة الصوم بالتلاعب برؤية الهلال بواسطة لجنة مكونة من طرفهم، أما عبادة الحج بإخضاعه لرخصة مسبقة، بل تعدى ذلك إلى حرصها الشديد في تعيين المسؤولين عن الديانة الإسلامية وما تعلق بالأوقاف والقضاء، الإفتاء والجمعيات الخيرية الإسلامية، يتم ذلك التعيين بقرارات من المحتل تُعنى بإدارة الشؤون الأهلية بالولاية العامة (أبوالقاسم، تاريخ الجزائرالثقافي(1954-1962)، 2007، صفحة 42)، كما تم تحويل المساجد إلى ثلاث أنواع هي: النوع الأول : تلك التي هُدمت وجُعل مكانها : الطرق العامة، المسارح، قاعات السينما ومنازل للأوروبيين، كـ: جامع سيدي فليح الذي هُدم سنة 1842، أما النوع الثاني : تلك التي حُولت إلى كنائس، كمسجد كتشاوة، أما النوع الثالث : فهي ما بقي من مساجد قليلة تكاد تُعد على الأصابع والتي بقيت للمسلمين، مثل : الجامع الكبير، ثم بعد تصفيته للمساجد إن صح القول، انصرف إلى كل ما له صلة بها وبالتالي بالهوية الوطنية، إذ أن المستعمر الفرنسي لم يقف عند هذا الحد بل تعداه إلى المساس بالأملاك الوقفية، لعلمه المسبق لما لها من تأثير في بناء وحدة الأمة وما تكفله من عناية ورعاية بعقيدتها في جميع مؤسساتها (عبدالرحمان ا.، 1994، صفحة 423)، فأصبحت جميع هذه الأوقاف تابعة للمحتل ليستعملها في التنصير (زروقة، 1420-1999، صفحة 26) وبالتالي بلوغ مبتغاه في طمس الهوية الجزائرية الأصيلة، فلم يتوانى كذلك عن القيام كذلك بالمساس بالقضاء الإسلامي، محاولا خلاله تحقيق سياسة الإدماج التي تعرضت للرفض من طرف الجزائريين، هذه الأخير ة التي لا تتفق كليا مع مبادئ العدالة الإسلامية، لذا قام المحتل بإصدار مرسوم 13 ديسمبر 1866م محاولا احترام الشريعة الإسلامية، بجعل العدالة الفرنسية في الجزائر تتكيف وتتلاءم مع خصوصيات المسلمين وتبسيط الإجراءات، مع مراعاة تكلفتها بجعلها تتسم بالقلة وكذا التقليص من عدد المحاكم فيها إلى 184محكمة. . بالتالي نستنتج بأن المحتل لم يتوان في محاولاته لطمس الشخصية الجزائرية، بالمقابل كان دائما يصطدم بالمقاومات والرفض لها من طرف الشعب الجزائري العظيم، أدت كنتيجة حتمية وتعد تحصيل حاصل لا مناص منه في بروز لمقومات وحركات إصلاحية، مثل :الحركة الإصلاحية الوطنية موضوع المقال التي سأتطرق إليها أدناه .

3- دور الحركة الإصلاحية في الحماية:

عرفت الجزائر نهضة وحركة إصلاحية يشهد بقوتها التاريخ وخلودها، تتدارسها الأجيال وتفتخر بها، بفضل مجموعة من المثقفين الذين تمسكوا بإعادة إحياء مقومات الشعب الجزائري وإزالة الغبار الاستعماري عنها، جاعلة الممارسات الإصلاحية خيارها الأحسن يظهر ذلك من تسميتها، لتشمل المعالجة مختلف المجالات متأثرة بعدة عوامل، في ما يلي توضيح ذلك في النقطتين التالتين:

3-1- الحركة الإصلاحية:

إن بداية القرن العشرين كانت بداية مؤثرة، إذ تعتبر بمثابة الوثبة للنهوض من السبات الذي تسبب فيه المحتل بتأثير عوامل في ذلك، لذا سأتكلم عليها موضحة مفهومها ونشأتها ثم العوامل المؤثر كالتالي :

3-1- 1- مفهومها :

لتحديد مفهومها يتعين التطرق إلى تعريف الإصلاح لغة واصطلاحا ثم وصف الحركة الاصلاحية في الجزائر، كما يلي: **3-1-1-1-** تعريف الإصلاح: لتوضيح مدلوله يقتضي تبيان مدلول لغة واصطلاحا **في ما يلي: 3-1-1-1- 1-** لغة: الإصلاحُ :مصدَرُ أصلَح، يُقالُ: صلَح يصلُحُ ويَصلَحُ صلاحًا وصُلوحًا والصَّلاحُ ضدُّ الفسادِ والإصلاحُ نقيضُ الإفسادِ، فهو يدُلُّ على إزالةِ الفسادِ. كما يقال: وأصلَح الدَّابَّةَ: أحسَن إليها فصلَحَت، كما يقال: أصلَح الشَّيءَ بَعدَ فسادِه: أقامه، كما يقال: وأصلَح ما بَينَهم وصالَحهم مُصالَحةً . **3-1-1-1- 2-** اصطلاحا: هو التَّغييرُ إلى استِقامةِ الحالِ أو :هو إزالةُ الخَللِ والفسادِ الطارِئِ على الشَّيءِ ومنه: الإصلاحُ بَينَ النَّاسِ، أي: إزالةُ ما كان بَينَهم مِن عَداوةٍ وشِقاقٍ (https://dorar.net> alaKhlaq>) . **3-1-1-2-** وصف الحركة الاصلاحية في الجزائر بقيادة ابن باديس : يصفها الأستاذ مالك بن نبي رحمه الله بالصحوة النهضوية أي الاستيقاظ التنموي، فيقول:" لقد بدأت معجزة البعث تتدفق من كلمات ابن باديس، فكانت ساعة اليقظة وبدأ الشعب الجزائري المخدَّر يتحرك، ويا لها من يقظة مباركة".(https://www.aljazeer.net>blogs)

3-1- 2-النشأة:

الحركة الإصلاحية ظهرت للوجود مع بداية القرن العشرين، ثم تطورت بقيام الشيخ عبدالحميد بن باديس بالتدريس في قسنطينة الذي استفاد من التكوين بجامعة الزيتونة سنة1913، بالتعاون مع مجموعة العلماء أمثال: ابن بعلي الزواوي، الطيب العقبي والبشير الإبراهيمي، لينتج عن هذا الاجتماع بروز جمعية العلماء المسلمين سنة1931، تزامنا مع الاحتفال السنوي للمحتل باحتلال الجزائر، متوهما بأنه قضى على الشخصية الوطنية بجميع مقوماتها، وفقا لما قاله أحد الحكام المحتل بهذه المناسبة : "إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن و يتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن من وجودهم وأن نقالع العربية من

ألسنتهم" (علي، د، س، صفحة 163و164)، بالإضافة إلى عوامل أخرى أسهمت في ظهور الحركة الإصلاحية سأوضحها في النقطة الموالية.

3-1- 3- العوامل المؤثرة: هي تلك السبل التي أدت إلى بلورة الحركة الإصلاحية، تتمثل أهمها في : حركة البعث وإعادة الإحياء للنخبة المثقفة في مجال التربية والتعليم، المشكلة من طلبة الزيتونة، بالإضافة إلى محاربة الطرق الصوفية المشار إليهم سابقا، بالإضافة إلى دورهم الفعال في مجال الإعلام والصحافة عن طريق نشر الوعي وما ينتج عنه من زوال لغشاوة الإستعمار الفرنسي التنموية الاستيطانية، يجب التنويه بأن الحركة الإصلاحية شملت كل ربوع الوطن، إذ في جنوب الجزائر كان الفضل إلى المشايخ المجاهدون، أمثال : الشيخ بيوض، الشيخ أبو اليقظان والشيخ إبراهيم أطفيش (دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر من 1340هـ-1921مإلى1395هـ-1975م، 1985، صفحة 30)، إذ قام هؤلاء المصلحين بزرع الأفكار الإصلاحية القائمة أساسا على : الإسلام، الكتاب والسنة، نشرها بين الناس مبنيا لفضائلها وآدابها (خيرالدين م.، د، س، صفحة 137)، سواء بالمدارس أو المساجد، بغية إحياء الشخصية الجزائرية التي شوهها المحتل، أما في مجال التربية والتعليم، فقد حرص العلماء والمشايخ في ذلك الوقت كل الحرص على القرآن الكريم، نذكر منهم العلامة عبد الحميد ابن باديس الذي كان ينفرد بطريقة تعليمه، بسبب العلاقة الروحية التي تنشأ بينه و تلامذته (تركي رابح، الشيخ عبدالحميدإبن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، 2003م، صفحة 170)، لأجل نشر المعرفة والعلم بينهم، فيتكون جيل يقظ وواعي، كما أسهموا كذلك بمحاربة الطرق الصوفية التي لا علاقة لها بالإسلام، خشية أن يتسبب التصوف في انتشار الجهل وتفرقة الأمة (بوصفصاف، د، س، صفحة 180)، إذ يقول البشير الإبراهيمي في هذا الصدد :"إن هذه الطرق المبتدعة في الإسلام هي سبب تفرق الإسلام (البشير، د، س، صفحة 48)"، فضلا على مجاهرتهم للاستعمار عن أراءهم الوطنية بواقع معاناة الشعب الجزائري، هذا الأخير المفتخر بعروبته وإسلامه (خيرالدين ش.، د، س، صفحة 1508) ، تساعدهم في ذلك أساليب تفوق وتتعدى جدران المدارس والمساجد، الأمر يتعلق بالصحف التي تعتبر سجل للأخبار ووعاء التاريخ وتقويم الزمن (بوصفصاف، د، س، صفحة 130)، من أوائل الصحف المجاهدة " جريدة الفاروق لعام 1913م" لما كان لها من تأثير لمدة سنتين، جعل بالمستعمر يقوم باعتقال ونفي صاحبها "عمر بن قدور " إلى مدينة الأغواط، بالإضافة إلى جريدة "المنتقد" التي أصدرها العلامة ابن باديس سنة 1925م "لسان حال الشباب الناهض في القطر الجزائري" (إبن باديس، 1938م، صفحة د، ص)، فهي جريدة سياسية تهذيبية انتقادية شعارها : "الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء"، لقدأسند إدارتها إلى الشيخ بوشمال، المتميز بوفائه له وللقضية الوطنية، فمن المعلوم أنَّ "المنتقد" صحيفة وطنية دينية إصلاحية دافعت عن الإصلاح الديني

وحاربت الخرافات والبدع التي كانت سائدة وقتئذ، إلا أنها لم تدم طويلا بعد أن صدر عنها ثمانية عشر عدد تحت شعار "انتقد ولا تعتقد"، لتأثيرها البالغ في دفع بالثورة السياسية، إلا أن ذلك لم يوقف عزيمة الشيخ عبد الحميد ابن باديس، فأصدر جريدة "الشهاب" في نفس السنة تحت شعار" مبدأنا في الإصلاح الديني والدنياوي – لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"، تكفلت هذه المجلة بالدفاع عن حقوق الوطن الضائعة وقيم شعبه المشوهة (تركي رابح، الشيخ عبدالحميدإبن باديس رائدالإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، 2005م، صفحة 184و186)، خصوصا بعد انضمام عدد من العلماء المصلحين، مثل : البشير الإبراهيمي، الطيب العقبي والسعيد الزاهري وغيرهم، فضلا على عدد من الجرائد، ك : السنة النبوية التي صدر عنها ثلاثة عشر عدد، ثم صدرت جريدة "الشريعة"، ثم صدرت جريدة الصراط السوي، جريدة البصائر تحت إدارة الشيخ الطيب العقبي والسعيد الزاهري والمبارك الميلي والبشير الإبراهيمي بعد الحرب العالمية الثانية، كانت توصف بأنها :بالجزائر الناهضة القوية المتحدة التي تخاطب الإستعمار بعيون تشتعل بالنيران، فهي من أهم وأحسن وأوسع المراجع في تاريخ نهضتنا مع صحف أبي اليقظان" (دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، د، س، صفحة 12). . نستنتج أن الإصلاحيين لم يقفوا عند اضطهاد المستعمر لهم، بل واصلوا نضالهم المجيد والسامي من أجل المحافظة على القيم الوطنية وضمان عدم زوالها، فوفقا لما سبق ذكره يتعين التكلم عن رواد الإصلاح لتاريخهم المعروف بأعمالهم القيمة، في النقطة التالية أدناه.

3-2- رواد الإصلاح في الجزائر:

التكلم عن الحركة الإصلاحية في الجزائر، يعني بالضرورة الحديث عن رواد الإصلاح أمثال: العلامة عبد الحميد ابن باديس والبشير الإبراهيمي، الذين كرسوا حياتهم من أجل المحافظة على الكيان الجزائري رغم محاولات المحتل جاهدا طمسه ودمجه كما سبق الإشارة إليه سابقا، لذا يتعين التحدث عن العلامتين عبد الحميد ابن باديس والبشير الإبراهيمي ودورهما الإصلاحي في النقطتين التاليتين:

3-2- 1-عبدالحميدإبن باديس ودوره الإصلاحي :

يتجلى ذلك من خلال وضعه لأسس الإصلاح مع توقع العقبات التي تمنع ذلك، باتخاذ المساجد أماكنا لتعليم الطلبة، مستعملا في تدريسهم كتاب يسمى "الشفاء للقاضي عياض"، أما تعامله التوعوي بعامة الناس، فلم يبخل في وعظهم وإرشادهم، إلا أنه لم يسلم من المنع في ذلك من طرف مصالح الإستدمار، فقرر الهجرة إلى بلاد الحجاز وبلاد العرب حتى يتصل بالعلماء من أجل استكماله لدراسته، فضلا على دوره الصحفي المشار إليه سابقا والهادف إلى القضاء على البدع والخرافات والأفكار الهدامة التي نشرها المستعمر، مفتخرا بعروبته ودينه الإسلامي وتاريخ الوطن العظيم، معتزا ببلده الجزائر التي لا يمكن أن تكون جزءا من المحتل، إذ أن الوطن يشكل أمة

بعيدة عن المحتل في مقوماتها وتاريخها العريق، بحيث لا يمكن لجميع سياساته الإدماجية (أبوسنة، 2005، صفحة 8)أن تتحقق، نظرا لدور العلامة الكبير في نشر الوضعية الجزائرية الاستعمارية داخليا، بسبب أن المحتل قد نقض جميع مواثيقه التنموية الزائفة التي توعد بتحقيقها خلال مراحل الأولى من احتلاله، لبسط نفوذه على الأراضي الوطنية الطاهرة، كما سبق الإشارة هذه الأفكار الإصلاحية هي في أصلها متحدة الوجود، يشترك فيها جميع المثقفين والعلماء والمشايخ، كالبشير الإبراهيمي الموضح أدناه .

3-2- 2-البشيرالإبراهيمي ودوره الإصلاحي :

يعتبر نائبا لرئيس جمعية العلماء المسلمين، التي تأسست عام1931، بحيث قام بالاهتمام بها إلى حين قيام الثورة الجزائرية، التي تعادي مواقف المستعمر في طمس الدعائم الوطنية ومحو معالم الدين واللغة (الأستاذ محمد الهادي، 2007، صفحة 147)، نظرا لأسلوبه الادبي الرفيع، له بعض الأراء النقدية (الإبراهيمي م.، 2010م، صفحة 65)، من أثاره : عيون البصائر طبع منها مجلدان والإطراح والشذوذ في اللغة، أسرار الضمائر، كاهنة الأوراس ورسالة الضب وفصيحة العربية من العامية الجزائرية والأرجوزة، بالإضافة إلى مقالاته مدعمة للقضية الوطنية التي نُشرت في بعض من دول في المغرب والمشرق (نويهض، معجم الإعلام الجزائري من صدر الإسلام في العصرالحاضر، 1980، صفحة 14). وبالتالي نخلص إلى أن الفكر الإصلاحي للنخبة المثقفة كان الأساس في تحريك الوعي لدى أوساط المواطنين، بسبب معاناتهم من : جهل، تشتيت، تفرقة بين القبائل في أفرادها ونهب للأملاك، فهي أفعال تعبر عن ممارسات المستعمر الفرنسي أنذاك، الذي كان يسعى إلى اختصار وتضييق لعيشهم، بإقحام في الضياع والعبيد لأموال هي في الأصل ملك لهم، كل هذه المشاكل جعلت فهم الواقع المعاش هو السبيل الوحيد لدى المجاهدين، بغية تحريك الثورات التحريرية الضروس ضد المحتل، التي دامت طوال فترة الإستعمار دون توان لتكلل في الأخير بالاستقلال وبعودة الحق إلى صاحبه.

4- خاتمة:

إن الحركة الإصلاحية كان لها دور كبير في المحافظة على القيم الوطنية، فهي تعد بمثابة مبراس أضاء قمة الفكر لدى المواطن الجزائري، بدءًا من وضع قاعدة متينة أساسها قيم الدين الإسلامي الحنيف بما يحويه من أخلاق النزاهة والشجاعة والنبل، كما أن إيمان النخبة المثقفة بالقضية الوطنية وبقدسية القيم الجزائرية، جعلها أساس وجود الحركة الإصلاحية التي لم تكن بمحض الصدفة وإنما لمحاربة الفكر المستبد الذي حاول مرارا وتكرارا طمس مقومات الهوية الوطنية المبنية على العروبة والدين الإسلامي الحنيف، إيماناهم بالقضية الوطنية المجيدة، هذه الحركة الوطنية التي تتسم بالنضال الديني والسياسي بحكم الضرورة والمأساة الاستعمارية التي كان

يعيشها أفراد الوطن الجزائري وهو ما حتم على المشايخ والعلماء أن يتصفوا بالصرامة من خلال خطبهم ومحاضراتهم وكذا الصحافة التي أخرجت القضية الوطنية من التقوقع الاستعماري إلى العالم بأسره الذي عاين المأساة الوطنية وظهرت بالتالي مكائد المستعمر الذي داسا على جميع المواثيق سواء التي أبرمها أو المواثيق الدولية الإنسانية التي تنص على حماية حريات وحقوق الإنسان في حياة كريمة مبنية على الحرية والمحافظة على مكونات شخصيته، لأجل الوقوف له بالمرصاد بداية بالمساجد والمدارس والتمسك بالتعليم ونشره، لأن بالعلم تبنى البيوت بلا عماد وبالجهل تهدم، خصوصا وأنه تم الكشف شيئا فشيئا عن نوايا المحتل الذي أراد اقتلاع جذور الجزائر، مهاجمين بداية تاريخها ومقوماتها هذا ما أدى إلى الثورات التحريرية الضروس التي عانى منها المحتل إلا أن أدت به إلى الخروج من الوطن منهزما شر انهزام، لأن الجزائر ولادة ولا تفنى بفناء الرجال فهي باقية بتاريخها المجيد ومكونات هويتها العريقة، فقد توصلت إلى جمل من الاقتراحات التالي:

-ضرورة جعل مادة التاريخ الجزائري أولية تدرس بدءا من الطور الابتدائي.

-ضرورة الإكثار من الندوات العلمي حول الحركة الإصلاحية إبان الإستعمار لاسيما وأن الدول الأجنبية تدرس التاريخ الجزائري

-يجب اتخاذ التدابير اللازمة والشرح الوفير لفهم الحركة الإصلاحية في الجزائر

-يجب على مؤسسات الإعلام الإذاعة والتلفاز تخصيص حصص للتاريخ الجزائري وتصوير فيلم عن الحركة الإصلاحية في الجزائر من أجل غرس الثقافة التاريخية لدى الأسر ة باعتبارها الخلية الأساس لبناء المجتمع لأن التاريخ هو الدعامة الرئيسية لضمان بقائه.

**

5- المصادروالمراجع:

باللغة العربية :

(كمال) أبوسنة. (2005). *الإمام عبد الحميدابن باديس حياته وسيرته وجهاده الإصلاحي* (الإصدار طبعة2). الجزائر: دارالخلدونية للنشروالتوزيع.

أحمد خطيب. (1985). *جمعيةالعلماءالمسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر* (الإصدار د، ط). الجزائر: المؤسسة الولائية للكتاب.

الإبراهيمي البشير. (د، س). *سجل جمعيةالعلماء* (الإصدار د، ط). د، د، ن.

البشير الإبراهيمي. (د، س). *سجل جمعية العلماء* (الإصدار د، ط). د، د، ن.

الجيلالي عبدالرحمان. (1994). *تاريخ الجزائر العام* (الإصدار طبعة 7، المجلد الجزء). الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية.

الحسيني الأستاذ محمد الهادي. (2007). *مواقف الإمام الإبراهيمي في عيون معاصرة* (الإصدار طبعة1). مؤسسة عالم الأفكارللنشروالتوزيع.

الطاهر علي محمد. (د، س). *التعليم التبشيري في الجزائر من 1830إلى 1904*. منشورات دحلب.

ألكمي دوطوكفيل. (2008). *نصوص عن الجزائر في فلسفة الإحتلال والإستيطان*. (صحراوي ابراهيمي، المترجمون) الجزائر: الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية.
بن عقون عبدالرحمان بن ابراهيم. (1984). *الكفاح القرمي السياسي من خلال مذكرات معاصرة(الفترة الأولى 1920-1936)* (المجلد الجزء). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
رابح تركي. (1981). *التعليم القومي والشخصية الوطنية (1931-1956)* (الإصدار طبعة2). الجزائر: الشركة الوطنية للنشروالتوزيع.
رابح لونيسي، بشير بلاح، ووأخرون. (د، س). *تاريخ الجزائر المعاصر1830-1989* (المجلد الجزء). الجزائر: دارالمعرفة.
سعدالله أبوالقاسم. (1998). *أبحاث وراء تاريخ الجزائر* (الإصدار طبعة2، المجلد الجزء). بيروت: دارالغرب الإسلامي.
سعدالله أبوالقاسم. (1992). *الحركة الوطنية الجزائرية1900-1930* (الإصدار طبعة 4). الجزائر: دارالعرب الإسلامي.
سعدالله أبوالقاسم. (2007). *تاريخ الجزائرالثقافي(1954-1962)* (المجلد الجزء). الجزائر: دارالبصائر.
شارل روبيرأجبرون. (2007). *الجزائريون المسلمون وفرنسا1919-1930* (الإصدار د، ط، المجلد الجزء). (مسعود الحاج، المترجمون) الجزائر: الرائد للكتاب.
شترة خيرالدين. (د، س). *الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956م"البعد العربي الإسلامي في نظال النحبة الجزائرية الزيتونة"* (الإصدار د، ط، المجلد الجزء). د، د، ن.
عادل نويهض. (1980). *معجم الإعلام الجزائري من صدر الإسلام في العصر الحاضر* (الإصدار طبعة2). بيروت، لبنان: مؤسسة نويهض للثقافة والتأليف والترجمة والنشر.
عادل نويهض. (1980). *معجم الإعلام الجزائري من صدر الإسلام في العصرالحاضر* (الإصدار طبعة2). بيروت، لبنان: مؤسسة نويهض للثقافة والتأليف والترجمة والنشر.
عباس فرحات. (2009). *ليل الإستعمار*. (أبوبكر رحال، المترجمون) الجزائر: وزارة الثقافة.
عبدالحميد إبن باديس. (1938م). مجلد14. *مجلة الشهاب*، جزء (1)، د، ص.
عبدالرشيد زروقة. (1420-1999). *جهاد ابن باديس ضد الإستعمارالفرنسي في الجزائر(1913-1940)* (الإصدار طبعة1). الجزائر: دارالشهاب.
عبدالعزيز الكحلوت. (1992). *التنصيروالإستعمارفي أفريقياالسوداء* (الإصدار طبعة2). طرابلس: منشورات الدعوة الإسلامية.
عبدالكريم بوصفصاف. (د، س). *جمعية العلماء ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية(1931-1945م)* (الإصدار طبعة1). الجزائر: عالم المعرفة.
عمار بوحوش. (1997). *التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى النهاية 1962* (الإصدار طبعة 1). بيروت: دارالغرب الإسلامي .
عمامرة تركي رابح. (2003م). *الشيخ عبدالحميدابن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة* (الإصدار طبعة2). الجزائر: موفم للنشر.
عمامرة تركي رابح. (2005م). *الشيخ عبدالحميدابن باديس رائدالإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر* (الإصدار طبعة5). الجزائر: المؤسسة الوطنية للإتصال.
محمد البشير الإبراهيمي. (2010م). *التراث الشعبي والشعرالملحون* (الإصدار د، ط). (عثمان سعدي، المترجمون) الجزائر: دارالأمة.
محمد الجيلالي عبدالرحمان. (1983). *تاريخ الجزائر العام* (الإصدار د، ط، المجلد الجزء). بيروت: دارالثقافة.
محمد حسنين. (1986). *الإستعمارالفرنسي* (الإصدار الطبعة الربع). الجزائر: المؤسسةالوطنية للكتاب.
محمد خيرالدين. (د، س). *سجل جمعية العلماء*.
محمد علي دبوز. (1985). *أعلام الإصلاح في الجزائر من 1340ه-1921مإلى1395ه-1975م*. الجزائر: دارالسبيل.

محمد علي دبوز. (د، س). *نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة* (الإصدار طبعة1، المجلد جزء). الجزائر: المطبعة العربية.
محمدالصالح بجاوي. (2009). *متعاونون ومجندون جزائريون في الجيش الفرنسي 1830-1918* (الإصدار طبعة1). الجزائر: دارالنهضةللنشروالتوزيع.
مراد علي. (د، س). *الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائرمن 1925-1940* (الإصدار طبعة2، المجلد الجزء). الجزائر: دارالحكمة.
مصطفى خالدي، وعمر فروخ. (1986). *التبشيروالإستعمارفي البلاد العربية*. بيروت : منشورات المكتبة العصرية.
chraa Géron .(1996) .*Histoire de l'Algérie contemporaine* .Uf. claude Bontems. s.d .(*Manuel des instructions algériennes de la domination truquée à l'indépendance* الإصدار) lome01 .(France :édition cyas.)